

الحرف والصناعات التقليدية بمنطقة تيارت "صناعة الزرابي أنموذجا"

Handicrafts And Traditional Industries In The Tiaret Region" The Carpet Industry As A Model"

مرجاني عبد القادر

المركز الجامعي آفلو-الجزائر، a.mordjani@cu-aflou.edu.dz

تاريخ النشر: 2025-06-01

تاريخ القبول: 2025-05-23

تاريخ الاستلام: 2025-05-02

ملخص :

"الزَّرْبِيَّة" أو السجاد الجزائري من الحرف التراثية الجزائرية التقليدية، التي تعود إلى آلاف السنين، كان يصنع منذ القدم لتزيين البيوت سواء بتعليقها على جدران الغرف أو على الأرض، وإن كان تزيين غرف استقبال الضيوف بالسجاد لازال إلى يومنا هذا، وقد تميزت بصناعتها منطقة تيارت، حيث أن صناعتها تتطلب شد خيوطها بإحكام ودقة كبيرة حتى يحصل صانعها على رموز وأشكال هندسية تقليدية تميز كل "زربية" عن الأخرى. ونظرا للأهمية التي تكتسبها صناعة الزربية، جاء موضوعنا الحرف والصناعات التقليدية بمنطقة تيارت "صناعة الزرابي أنموذجا"، من أجل تسليط الضوء على واقع هذه الحرفة ومدى انتشارها في المنطقة، وعليه فإننا سنعرج في هذه المداخلة على تعريف الصناعة التقليدية، من خلال التطرق إلى أهم مجالاتها، كما أننا سنحاول أن نعطي مفهوما للزربية وتطورها عبر التاريخ، وبما أننا نتحدث عن الزربية في منطقة تيارت، سنذكر خصوصيات زربية قصر الشلالة ومراحل إنجازها، وكأي حرفة من الحرف فإن صناعة الزربية هي الأخرى تواجه العديد من العراقيل والصعوبات في صناعتها، لذلك سنطرح مجموعة من الحلول التي يمكن أن تنهض بهذه الصناعة في منطقة تيارت وتطورها لتصبح تنافس السجاد العصري. والهدف من هذه الدراسة هو محاولة إعطاء صورة شاملة عن واقع هذه الصناعة في منطقة تيارت وأهم التحديات التي تواجهها.

كلمات دالة: منطقة تيارت، الصناعات التقليدية، الحرف، صناعة الزربية، التراث.

Abstract:

Carpet” Or Algerian Carpets Are Traditional Algerian Craftsmanship, Which Date Back Thousands Of Years. It Was Made From Ancient Times To Decorate The Houses, Whether By Hanging Them On The Walls Of The Rooms Or On The Floor, And If Decorating The Reception Rooms For Guests With Carpets Is Still To This Day, It Was Characterized By Its Manufacture , As Its Industry Requires Tightening Of Its Strings With Great Precision And Accuracy In Order For Its Maker To Obtain Symbols And Traditional Geometric Figures That Distinguish Each "Carpet" From The Other. In View Of The Importance Of The Carpet Industry, Our Topic Of Handicrafts And Traditional Industries In The Tiaret Region Came As A “Carpet Industry As A Model”, In Order To Shed Light On The Reality Of This Craft And The Extent Of Its Spread In The Region. Also, We Will Try To Give An Understanding Of Carpet And Its Development Throughout History, And Since We Are Talking About Carpet In The Tiaret Region, We Will Mention The Peculiarities Of Carpet Of The Cascade Palace And The Stages Of Its Completion, And Like Any Craft Of Crafts, The Carpet Industry Is Also Facing Many Obstacles And Difficulties In Its Manufacture, So We Will Present A Group Of Solutions That Can Promote The Industry In The Tiaret Region And Its Development To Become A Modern Carpet Compete. The Aim Of This Study Is To Try To Give A Comprehensive Picture Of The Reality Of This Industry In The Tiaret Region And The Most Important Challenges It Faces.

Key Words:

Tiaret Region, Handicrafts, Crafts, Carpet Industry, Heritage.

مقدمة:

يُعَدُّ الكشف عن الماضي الحضاري للشعوب إسهامًا جادًا في إحياء تراثها، فهو مرآة عاكسة لتاريخها وهويتها، وتُعَدُّ الجزائر من بين الدول التي تعرّضت لمحاولات طمس شخصيتها والتقليل من قيمتها الحضارية، مما أدى إلى السعي لانتقاص مقوماتها. غير أن تحقيق هذا التراث ودراسته دراسة علمية يُسهم في التعريف به وتوثيقه، وتُعَدُّ صناعة الزرابي جزءًا من هذا التراث الثري الذي تزخر به الحضارة العربية الإسلامية عمومًا، والجزائر خصوصًا، ورغم صعوبة تحديد الفترة الزمنية التي نشأت فيها هذه الصناعة بالجزائر، فإن وجودها يعود إلى زمن بعيد، حيث استخدمها الرّحل في خيامهم وأفرشتهم، وقد فرضت طبيعة الحياة البدوية على الإنسان البحث

عن وسائل بسيطة تضمن له الراحة، فاستغلّ صوف حيواناته لصناعة الزرابي، التي كانت توفر له الدفء المطلوب.

ومن أبرز المناطق التي اشتهرت بصناعة الزرابي في الجزائر: منطقة جبل عمور، وبلاد القبائل، وغرداية، وتيارت، وغيرها. وقد ساهم توفر صوف المواشي، الذي يستفيد منه الأهالي، في ازدهار هذه الصناعة وتطورها. وتتميز معظم الزرابي بوحدة زخرفية على شكل معين، غالبًا باللون الأسود أو الأزرق القاتم، مع تكرار زخرفي محكم دون التزام بالتناظر، وينتهي التصميم بوحدة زخرفية هندسية متقنة.

وانطلاقًا من الأهمية التي تكسبها صناعة الزربية في منطقة تيارت، حظيت هذه الصناعة باهتمام خاص ضمن السياسات المحلية، باعتبارها عنصرًا حضاريًا وموردًا اقتصاديًا مهمًا يسهم في تحقيق التنمية المحلية، وإنعاش الصناعة التقليدية، وخلق فرص عمل لسكان المنطقة. كما تمثل الزربية حافزًا لإطلاق استثمارات بسيطة وغير مكلفة، مما يعزز النشاط الاقتصادي المحلي.

وفي هذا السياق، ومن أجل تسليط الضوء على هذا الموضوع، نطرح الإشكالية التالية:

ما هو واقع وتحديات صناعة الزربية التقليدية في منطقة تيارت؟

وللإجابة على هذه الإشكالية، قسّمنا البحث إلى المحاور الآتية:

أولاً: تعريف الصناعة التقليدية.

ثانياً: مفهوم الزربية وتطورها.

ثالثاً: خصوصيات زربية منطقة تيارت.

رابعاً: مراحل انجاز الزربية تيارتية.

خامساً: أهم التحديات التي تواجه صناعة الزربية في منطقة تيارت.

سادساً: بعض الحلول للنهوض بصناعة الزربية بمنطقة تيارت.

1. تعريف الصناعة التقليدية:

تم تعريف الصناعة التقليدية في الجزائر بمقتضى مرسوم رقم 01-96 الصادر في 10 جانفي 1996، الذي يحدد القواعد التي تحكم الصناعة التقليدية والحرف، وقد تم تعريفها في المادتين 5 و6 كما يلي: "الصناعة التقليدية والحرف هي نشاط إنتاج أو إبداع أو تحويل أو ترميم في أو صيانة أو تصليح أو أداء خدمة يطغى عليها العمل اليدوي، ويمارس بصفة دائمة ورئيسية، وفي شكل مستقر أو متنقل أو معرّض، ويكون هذا النشاط إما فردي، أو ضمن تعاونية للصناعة التقليدية أو ضمن مقالة للصناعة التقليدية". (وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة،

مرسوم رقم 01-96 المؤرخ في 10 يناير 1996 المحدد للقواعد التي تحكم الصناعة التقليدية والحرف، صفحة 35)

تنقسم الصناعة التقليدية في الجزائر وفق مجالات نشاطها إلى ثلاثة أنماط رئيسية، (وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، مرسوم رقم 01-96 المؤرخ في 10 يناير 1996 المحدد للقواعد التي تحكم الصناعة التقليدية والحرف، الصفحات 36-37):

أولاً: الصناعة التقليدية ذات الطابع الفني

تشمل هذه الفئة جميع الأعمال التي يُغلب عليها الطابع اليدوي، مع إمكانية الاستعانة ببعض الآلات، وتنتج مواد ذات استخدام نفعي أو تزييني، وتتميز هذه الصناعة بجانبها الفني الذي يعكس مهارات متوارثة تتسم بالأصالة والإبداع والخصوصية، ما يمنح كل منتج طابعاً فريداً.

ثانياً: الصناعة التقليدية الحرفية لإنتاج المواد (الصناعة التقليدية النفعية الحديثة)

تتعلق هذه الفئة بإنتاج مواد استهلاكية يومية، موجهة أساساً لتلبية حاجيات الأسر وقطاعات مثل الصناعة والفلاحة، وتفتقر هذه المنتجات في الغالب إلى طابع فني مميز، حيث يركز الحرفيون فيها على الجانب الوظيفي أكثر من الجمالي.

ثالثاً: الصناعة التقليدية الحرفية ذات الطابع الخدمي

تشمل مختلف الأنشطة التي يقدم من خلالها الحرفي خدمات تتعلق بالصيانة أو التصليح أو الترميم الفني، وتشكل عنصراً مهماً في الحفاظ على المنتجات التقليدية وضمان ديمومتها واستمراريتها.

2. مفهوم الزربية وتطورها:

1.2 لغة:

جاء في قاموس لسان العرب تعريف الزرابي على "أنها كل بسط اتكى عليه..." ومفردتها زَرْبِيَّةٌ بفتح الزاي وسكون الراء (منظور، 1987، صفحة 488)، ويقصد بها ما يداس بالأرجل سواء كان ذو وبر قصير أو ذو عقد (الأغواط، من 29 سبتمبر إلى 08 أكتوبر 2015، صفحة

(03)، وأصل الكلمة فارسي وهو Zirppa (حنفي و ساجية عاشوري، 2005، صفحة 12)، وقد يختلف هذا اللفظ عبر أرجاء العالم العربي، كما ذكر مصطلح الزربية في القرآن الكريم في سورة الغاشية "وغمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة" (سورة الغاشية، الآية 15 و16)، أي الزرابي البسط ذات خمل مبثوثة معناها مفروشة.

2.2 اصطلاحا:

"الزَّرْبِيَّة" كلمة متداولة في الجزائر للدلالة عن السجاد المصنوع من الصوف أو الوبر، وهي الأبسطة التي تفرش على الأرض ومفردها بساط، وتختلف هذه المصطلحات من منطقة إلى أخرى فتعرف الزرابي الأكثر قدما في الجنوب القسنطيني، والجنوب التونسي بالقטיפية وتنطق كثيفة في منطقتي الحراكمة والنمامشة، وبالزلاس في تونس وهي الزربية ذات الأبعاد الصغيرة التي تعرف بالمطرح، وتعرف بجبل عمور بالفراش أو الفراشية، كما عرفت بالطنافس في المشرق العربي باستثناء بغداد التي عرفت فيها الزرابي باسم الزويلة، والكلمة فارسية الأصل وهي تعني اللف والطي لأنها تطوى أو تلف عادة عند عدم استعمالها في فصل الصيف فشاع استعمال هذه الكلمة الفارسية للدلالة على الزربية نفسها، وتدخل الطنافس تحت مفهوم الأبسطة، إلا أنها تتميز باحتوائها على خمل يغطي سطحها (مرزوق، 1977، صفحة 121)، والبسط لها مرادفات كثيرة كالسجاد، وهذه الأخيرة جاءت من السجود عليها، ولما كانت الوظيفة أشرفها في استعمال البسط والطنافس والزرابي فقد استقر الأمر بين الأثريين على استعمال كلمة سجاد (حنفي و ساجية عاشوري، 2005، صفحة 9).

3.2 - تطورها:

يمكننا ربط أهمية الزربية الجزائرية بالإتاوات والهدايا التي كانت تقدم من طرف السلاطين والأمراء، ويخبرنا Devoulx في كتابه "التشريفات" أن داي الجزائر كان يبعث سنويا هدايا للسلطان في القسطنطينية من بينها: اثني وثلاثين زربية من الجنوب، وخمسة وعشرون حايكاً ورقليا أحمر، وثلاثون حايكاً ورقليا أبيض، أربعة وأربعون حايكاً من تلمسان سنة 1551م، أما في سنة 1571م تم إرسال أربع وثلاثين زربية من الجنوب (Devoulx، 1852، الصفحات 57-

(58)، ويشير إلينا ابن خلدون في مقدمته أنه تم التوقيع في عام 188 هـ على اتفاق بين الخليفة هارون الرشيد وإبراهيم ابن الأغلب، وكانت الاتفاقية عبارة عن جزية سنوية قيمتها ثلاثة عشر مليون درهم ومائة وعشرون زربية (شيخ، 2007، صفحة 13)، وهكذا تم نقل الزرابي من المغرب العربي إلى بغداد لفترة تفوق القرن.

ويقول رزقي بن خيضر أستاذ الصناعة التقليدية، أنه في الجزائر يمكن تمييز ستة أنواع رئيسية من الزرابي، زربية بابر الأمازيغية بالشرق الجزائري، وزربيتا النمامشة والحراكنة بالشرق أيضا، وهما نوعان من السجاد الرفيع المنسوج بالصوف، إضافة إلى زربية جبل العمور وهي سجاد عربي تنتجه نساء إحدى قبائل الغرب وزربية غرداية في الجنوب، وأخيرا زربية منطقة سيدي بلعباس والتي تسمى بالحنبل، وهي نوع من السجاد المنسوج من الصوف (العرب، السنة 39- ع 10530، 2008، صفحة 20)، وما يميز صناعة الزرابي في كل منطقة عن الأخرى هو الاختلاف في انتقاء الألوان والأشكال واستخدام الذوق المحلي لكل منطقة بالإضافة إلى الإبداع الفردي.

4.2 - عيد الزربية:

من أجل المحافظة على صناعة الزربية من الزوال، لجأت السلطات الجزائرية إلى إحياء العيد الوطني للزربية، الذي ينظم سنويا في مدينة غرداية، التي تشتهر بإنتاج أنواع عدة من الزرابي، إلى جانب الإعلان عن الصالونات الوطنية للزربية كل مرة في ولاية من ولايات الجزائر. كما احتضنت دائرة قصر الشلالة بولاية تيارت يوما دراسيا حول "تاريخ ومكانة الزربية الشلالية"، للتعريف بها وبأنواعها ومراحل إنجازها وأهم العراقل التي تواجه صناعتها، وتشجيع إنشاء مؤسسات لصناعة هذه الزربية في إطار أجهزة تشغيل الشباب المختلفة، وعلى هامش اليوم الدراسي تم تنظيم معرض للزربية الشلالية شارك فيه 35 عارضا من محترفي صناعة هذه الزربية، حيث أظهروا إبداعاتهم عبر أجنحة المعرض، كما أبرز مركز اقتناء الصوف بالسوق ومؤسسة دمع الزرابي بتلمسان ومعهد التكوين المهني بقصر الشلالة مشاركتهم (خ، 16 مارس 2020).

3. خصوصيات زربية منطقة تيارت:

تعرف ولاية تيارت بتراث غني وزاخر بالرموز الثقافية، ويتمثل ذلك في الاحتفالات التقليدية والأفراح المحلية التي تزيد فضاءات هذه المنطقة رونقا وجمالا وسحرا من خلال أصوات الغناء المحلي التي تنتشر المتعة في أوساط الجمهور العريض، بالإضافة إلى سباقات الخيول واستعراضات الفنتازية، وهي الهواية التي ترتبط بتاريخ هذه المنطقة وتقاليدها الراسخة، وذلك بمناسبة إقامة الحفلات والفعاليات عبر مختلف بلديات الولاية وفي مناسبات الأفراح العائلية وغيرها، ومن خصوصياتها الثقافية التي تدعم الميدان السياحي بها، تلك العادات والتقاليد والحرف والصناعات التقليدية المرتبطة بالذاكرة الجماعية المحلية مثل الزربية.

فمنطقة تيارت وكل بلدياتها تعرف صناعة الزربية والنسيج التقليدي، خاصة قصر الشلالة والسوق وعين الذهب ومدرسة ... إلخ، ومن أشهر الزربيات الموجودة بالمنطقة الزربية الشلالية البيضاء، وزربية جبل العمور الحمراء، وتسعى غرفة السياحة والصناعة التقليدية جاهدة للحفاظ على هذه الصناعة، فتجدها دائما حاضرة في المعارض الوطنية والمحلية بعدة أنواع من الزربية، كما تم إنشاء ورشة على مستوى الغرفة من أجل تعليم الراغبين والحرفيين فنون إتقان صناعة الزربية، ولعل من أهم خصوصيات زربية منطقة تيارت تتمثل فيما يلي:

1.3 - مقاييس زربية منطقة تيارت ووزنها:

أ- **المقياس:** كان في السابق يتم تحديد مقياس الزربية بالعين المجردة، بفضل خبرة ومهارة النسوة في المجال، أما اليوم فيتم تحديد طول وعرض الزربية بناء على قياس موحد، وغالبا ما يؤخذ قياسان (تيارت، 2010، صفحة 10):

- الطول أربعة (04م) والعرض متران (02م).

- الطول ثلاثة (03م) والعرض متران (02م).

ب- **الوزن:** لا يمكن تحديد وزن الزربية التيارتية بدقة كاملة، لأن وزنها يتوقف على مدى رص المرأة لخيوط زربيتها أثناء عملية النسيج، كما أن طول فروتها يؤثر على وزنها، وغالبا ما تكون زربية قياس 3م × 2م تزن من 28 إلى 30 كلغ.

ج- السمك: هو سمك فروة الزربية، ونجد في الزربية تيارتية نوعان:

- زربية بدون فروة.

- زربية بفروة: ويبلغ طول الصوف من نهاية العقدة إلى نهاية الصوف حوالي 03 سم.

د- المدة: يمكن لعاملتين التفنن بإنجاز زربية مقاس 4م×2م وذلك في ظرف عشرين (20) يوما (تيارت، 2010، صفحة 12).

2.3 - المواد الأولية وأدوات الصناعة:

إذا تحدثنا عن المواد الأولية المستعملة في صناعة الزرابي وهي مواد تتوفر في البيئة المحلية، وتتمثل أساسا في مادة الصوف إضافة إلى شعر الماعز ووبر الجمال، وهما مادتان ثانويتان تضاف إلى الصوف بهدف زيادة متانتها وتستعمل خاصة في نسج حواف الزرابي، أما الأدوات المستعملة فهي بسيطة تقليدية وما تزال تستعمل إلى يومنا هذا ومن أهمها النول العمودي (المنسج). كما تنوعت مواد الصباغة (الألوان) فمنها النباتية والحيوانية والمعدنية، وتبقى المواد النباتية الأكثر استعمالا نظرا لتوفرها في البيئة المحلية وسهولة تحضيرها مثل: النعناع والحناء والزعفران، وأهم الألوان الأساسية نجد الأبيض والأسود والأحمر.

3.3 - الأشكال والرموز المستعملة في الزربية "الرقام":

إن السجاد يحمل نقوشا ورموزا وألوانا لها دلالات اجتماعية عميقة وأبعاد إنسانية معبرة تعكس تراث الجزائر القديم الأمازيغي، مثل طبيعة العلاقة الزوجية والوحدة الأسرية، كما أن رسومات زربية بابار مصدرها قصص وأساطير قديمة مستلهمة من المحيط والواقع من أجل جلب الخير والبركة، ومن بينها الرمح والخلالة والهلال، كما أن الفتاة كانت تعبر عما يختلجها من مشاعر الفرح أو الحزن، بما ترسمه من أشكال في الزربية التي تنسجها، فإذا أرادت الزواج واستحيت من التصريح بذلك لأهلها تعبر عن ذلك برسم أو شكل تجسده في زربيتها يعكس أحاسيسها ورغباتها، كما يستخدم السجاد في تزيين غرف استقبال الضيوف والجدران، وهي ميزة البيوت في الجزائر قديما، وبالنسبة إلى الأعراس تعادل الزربية الذهب والحلي من حيث القيمة، حيث ذاع

صيت السجاد الجزائري عالميا في السابق مع ازدهار السياحة (العرب، السنة 39- ع 10530، 2008، صفحة 20).

والرمز كمعطى تاريخي، له خلفياته الثقافية والزمنية المتعددة إلا أن ارتباطه مباشرة بالزربية أضفى عليها نوعا من المسح الأنثروبولوجي، إذ أنه يحاكي الواقع الذي عاشته الأسرة الجزائرية عبر أجيال، هذا عاد أنه تجسد في كل ما يلمس الحياة اليومية للجزائري قبل وإبان الاستعمار الفرنسي، حتى أن هناك من يعتبره رسالة للأجيال عبر الزمن. وقد ارتبط أيضا بالوشم على الجسد وعلى الأواني الفخارية وحتى على اللوحات الفنية و الجدارية، إلا أن علاقته بالزربية كان له لمسة خاصة، فالنسيج كان من خصوصيات المرأة التي تحظى بامتياز خاصة في تمازج الألوان والأشكال، هذا وأن هناك زراي خاصة دون غيرها لمناسبات الأسرة الجزائرية، ذاك أن العروس كان يتم تجهيزها بكل ما هو صنع يدوي لذا كانت تحرص على كل تفاصيل الجهاز بيدها لأن الفراش يعتبر من أهم طقوس الزواج التي تحظى المرأة على اقتناءه بعناية، وكل هذا أدى بطبيعة الحال إلى اكتشاف رموز جديدة خاصة بعد المصاهرات الأسرية التي كانت تتم بين كبرى القبائل الجزائرية ليصب في قمة التنوع الثقافي عبر عقود.

فالمجتمع الجزائري مجتمع عريق يعيش داخل فسيفساء من التعدد الثقافي، لأنه يجمع بين الشاوية والقبائلية والميزابية والتارقية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على غنى الإرث الثقافي لهذه المناطق، والعادات والتقاليد هي وليدة هذا التراكم الثقافي عبر الأجيال والأزمنة من خلال تعاقب الحضارات على المنطقة الواحدة، وهذا ما تبنيه الرموز والتصاميم فهي تعكس الخصوصية الحضارية المستوعبة من طرف المجتمع الذي ينتمي إليه الحرفي، لأن الأشكال الرمزية المختلفة المسجلة على الزراي الجزائرية هي بصمات ترسم وتؤشر اثنوغرافية مجتمع محلي في أشكال ونصوص ومعاني مشفرة. وتعود أهمية دراسة مدلولات الرمز إلى معرفة طريقة تفكير شعب معين في حقبة معينة لأن "السلوك الرمزي هو سلوك إنساني" (منى، 2008، صفحة 02).

وأبسط تعريف له هو: "أنه صلب الحياة الاجتماعية باعتباره لغة اتصال وحوار بين أفراد المجتمع الواحد" (الجوهري، 2007، صفحة 194)، حيث يتمثل في دلالات معينة من خلال

الرسوم والأشكال وغيرها من أدوات التعبير، وقد استمر وتطور الرمز حتى العصر الإسلامي أين تم تصنيفه إلى ثلاثة أنواع رئيسية وهي: "إما رموز دينية، رموز سياسية أو اجتماعية" (منى، 2008، صفحة 03)، لنجد الرموز اليوم تغطي على الحياة الاجتماعية بشكل كبير، فهو ينعكس على الكثير من مظاهر الحياة لأهميته.

وتحمل كل زربية دلالة رمزية قوية، كما أنها تروي جانباً من حياة المرأة الحرفية ونظرتها ووسطها الاجتماعي، إلى أن تحولت إلى مرجعية اجتماعية وثقافية، وتنقل الرموز والرسومات والخطوط وغيرها من الأشكال التعبيرية الأخرى، التي تتضمنها كل زربية الخيال الاجتماعي والتقاليد الشفوية القديمة، المتوارثة من جيل لآخر وذلك وفقاً للوسط الاجتماعي لكل حائكة وحائك.

وتعتبر الزربية بمثابة هندسة متنقلة ودلالة على هوية ومهارة، وأيضاً فضاء جغرافي محدد، حيث أن كل منطقة تعتز برموزها الخاصة وبأشكالها، وتحافظ عليها بعناية كما تنقل هذه الأعمال الفنية الضاربة في القدم بأمانة عن طريق الزربية، ومن بين المناطق المتفوقة في مجال الرمزية الفنية التي يتم توظيفها في بناء الشكل التصويري للزراي، وتعكس الهوية الحقيقية تبرز مناطق القبائل والأوراس وميزاب وتلمسان والمضاب العليا ومنطقة جبل عمور.

وسواء تعلق الأمر بزراي النمامشة وبني يزقن، مروراً بزراي آيت هشام وقصر الشلالة والأغواط، فإن التعابير الفنية الخاصة بكل منطقة تظهر من خلال الأشكال والخطوط والنسيج المحبوك بعناية من طرف الأيدي الماهرة للحائكات، وتعرف كل منطقة من خلال ما تعرضه، والأشكال والأساليب الهندسية الموزعة ببراعة مع الألوان المختارة والتمازجة بانسجام كبير.

وعلى سبيل الذكر، فإن زراي مناطق جبل عمور والناظور وصولاً إلى السوقر وآفلو والبيض والأغواط تتميز من خلالها رسوماتها التي يتم فيها المزاجية حصرياً بين ثلاثة ألوان (الأحمر والأسود والأبيض)، فيما تعرف زربية قصر الشلالة بأسلوب نسيج مميز للغاية يتضمن العديد من الألوان والأشكال الهندسية المستوحاة من الحياة المعاشة للمرأة أو من معالم المنطقة ومن أبرز الأشكال نجد:

أ- الشماسية: وهو نوع من الحلي يسمى المشبك "Une broche"، تستعمله المرأة لتشد

به رداؤها -المقرون-

ب- **الواسطة:** وهو شكل هندسي يرمز لكون المنطقة همزة وصل -واسطة- ما بين التل والصحراء.

ج- **الوردة الميتة:** ويقصد بها ذلك المربع الذي يحيط بالزربية دون أن يكون منتهيا في جهة معينة، ولكن نظرا للتعديلات التي طرأت عليها فإننا نجد المنتجين الجدد يقتصرون على وضع وردة ميتة واحدة على أطراف الزربية وجعلها تنتهي في جانبيين (تيارت، 2010، صفحة 11).

أما عملية الزخرفة فهي تتم عن طريق الغرز المعقودة على الطريقة التركية -عقدة كيروودوس- التي تلف حول خيطين من السداة عقدة بعقدة عكس العقدة الفارسية التي تلف حول خيط واحد من خيوط السدى أو بسلسلة من الحلقات كما هو الحال في صناعة القطيف، ويقوم بهذا العمل المرأة والرجل على حد سواء.

4. مراحل انجاز الزربية تيارتية:

تتم عملية نسج الزرابي وزخرفتها في نفس الوقت، بحيث تجلس الناسجة مقابل المنسج حيث تكون السدوة معلقة ومشدودة، فتقوم بالخطوة الأولى وهي تمرير خيط خشن من الصوف لونه هو اللون السائد بالزربية (إذا كان اللون الغالب على الزربية هو اللون الأحمر فإن خيط اللحمية يكون أحمر، وقس على ذلك) ما بين الخيوط الفردية للسداة بداية بالخيط الأول إلى الخيط الأخير، ثم تعود بنفس الخيط الصوفي ولكن هذه المرة ما بين الخيوط الزوجية، وتستمر في هذه العملية حتى يصل العلو من ثلاث إلى خمس سنتيمترات (5-3سم).

وبعد هذه الخطوة تبدأ عملية ربط العقد أي عقدة زربية القرقور أو ما يسمى بعقدة كيروودوس، حيث تضع ما بين السبابة والإبهام رأس خيط العقدة باللون المطلوب طوله حوالي 5سم، وفي نفس الوقت باليد اليسرى، وبواسطة السبابة والإبهام تمسك الخيطين الأولين من خيوط السداة على بعد عشرين سنتيمتر (20سم) من بداية النسيج، ثم تضع رأس الخيط الممسوك باليد اليمنى خلف خيطي السداة تمرره بعد ذلك إلى أعلى، ثم تقوم بتدوير طرفاه حول هذين الخيطين فتجمعهما وتخرجهما بين الخيطين مكونة بذلك عقدة تنزلها بحركة سريعة إلى الأسفل مع الجذب

بقوة دون أن تترك خيطا السداة الممسوكين باليد اليسرى، ثم تشدها بأصبعها قليلا وتقطع أطراف الخيوط بواسطة مقص أو سكين حاد، وتستمر بهذه الطريقة حتى تكون صفا من العقد ترصه باستعمال المشط (لخلالة) حتى لا تفك العقد، وفوق هذا الصف من العقد تمرر خيطين من خيوط اللحمة بنفس الطريقة التي رأيناها قبل بداية وضع العقد.

وبهذه الطريقة تتحصل الناسجة على زخارف حسب النماذج المعدة مسبقا تسمى بالعينة، وهي عبارة عن نماذج مقسمة إلى مربعات صغيرة يوضع عليها الشكل المراد مع الألوان، والعقد الواجب وضعها كل شكل على حدا، وتقوم المرأة بجمع تلك الأشكال وتركيبها بشكل آخر ينتج عنها أشكال زخرفية جديدة نباتية وهندسية حسب نوع الزخرفة التي تريد تجسيدها على الزربية، فمثلا إذا كان الرسم على العينة يبين ثلاث مربعات سوداء متبوعة بخمسة عشرة زرقاء وتليها ستة برتقالية، فما عليها سوى ربط ثلاث عقد سوداء تليها خمسة عشرة زرقاء، ثم ستة عقدة برتقالية، وهكذا دواليك إلى أن تنهي صفا من العقد.

ونفس الشيء بالنسبة للصف الذي يليه إلى أن تكمل نقل كل ما تراه على العينة، وتغطي بذلك كل خيوط السدى بخيوط اللحمة ولا يترك منها جزء ظاهر، إذ تتوقف جودة الزرابي على غناها بالزخارف المتنوعة وكذا عدد العقد وتماسكها فكلما كانت أكثر ازدادت دقة الزخارف وكثافة الزربية، وحتى لا يضيق النسيج في العرض أثناء العمل يتم جذبه خلف المنسج باستعمال مدادين خشبيين "جبايد" مثبتين مع الجدار بواسطة وتدتين، أما المددان الجانبيان يشدانه من الناحية العرضية (عضايد)، وهذا لأن صناعة الزرابي تستلزم أن يشد المنسج بأكثر من الخيوط التي تستعمل في حالات النسيج الرقيق (ماجور، مج: 2- ع 08، سبتمبر 2019، صفحة 148).

عندما تنهي عملية نسج الزربية تقطعها من على المنسج حيث تترك مسافة من خيوط السداة تسمى الأهداب أو ما يعرف باللهجة المحلية باسم (زرات/ شراية)، وتربط كل عدد من الخيوط بعضها ببعض لتكوين عقدة واحدة، وهذه الأهداب لها أهمية في المحافظة على الزربية أما جانبها فنجد نوعا من النسيج يسمى الحاشية يتم من خلال تمرير خيط اللحمة بين أربعة خيوط من السداة وترص باستعمال المشط لتعطي نسيجا جيدا يساعد على حفظ عقد الزربية من الجانبين

وبذلك تصبح الزربية داخل حواشي من الجانبين تعطىها الكثير من المثانة (ماجور، مع: 2- ع 08، سبتمبر 2019، صفحة 149).

يتم نسج الزربية باستعمال "السداية" أي المنوال التقليدي، و"الخاللة" من أجل دق ورص الخيوط، والمقص، وذلك بعد أن تتم عملية تحضير الصوف وهيئته عبر مراحل، إلى أن يصير رطبا وناعما، ليتم نقشه بـ "القرداش"، ويطوى بـ "المغزل" جيدا حتى يتحول إلى خيوط للنسيج، ألوان الزربية كلها طبيعية يتم استخلاصها من الموارد الطبيعية والأعشاب مثل عود شجرة الجوز البني، والعود الأصفر وهو بحار هندي للون الأصفر، وحب الرمان المجفف، وعود السواك لتثبيت الألوان وعشبة شقائق النعمان للون الأحمر القرميدي، وحجر النيلة لاكتساب اللون الأزرق، وحجر المغرة للحصول على اللون الأسود (العرب، السنة 39- ع 10530، 2008، صفحة 20).

وبعد القيام بكل هذه التحضيرات يتم الشروع في مرحلة المنوال أو ما يعرف بـ "السداية" التي تمثل الهيكل الذي تنطلق منه عملية النسج والربط بين الخيوط باستعمال أدوات نسيجية مصقولة جدا، متجهة أفقيا وسط الخيط المعروف بـ "القيام"، حيث تجلس الناسجة وراء هذا الهيكل وتقوم بتحريك يديها التي تشق الخيوط ذهابا وإيابا وترصيصا، بدقة وسرعة مستعملة "الخاللة" والمقص في حركة سريعة ومنتظمة، مع أغان وأهازيج ترطب أجواء العمل الشاق، ويستغرق إنتاج بعض الزرابي وقتا يصل أحيانا إلى ثلاثة أشهر، ورغم ارتفاع سعر بيعها تقول الحرفيات إنهن لا يحققن ربحا يذكر، أمام غلاء المواد الأولية وتراجع الإقبال على شرائها، حيث أصبح ينافسها السجاد الصناعي (العرب، السنة 39- ع 10530، 2008، صفحة 20).

5. أهم التحديات التي تواجه صناعة الزربية في منطقة تيارت:

وفقا لمختصين جزائريين فإن صناعة الزربية في الجزائر تراجعت من أكثر من 700 ألف قطعة سنويا عام 1990 إلى أقل من 80 ألف قطعة عام 2014، وهذا الانخيار الكبير يعود إلى عدم وجود طلب محلي، وتراجع عدد الحرفيين المنتجين، بحسب مسعود داشا عضو الغرفة الجزائرية للحرفيين، وصاحب شركة تصدير للمنتجات التقليدية، كما أوضح أن عدد الحرفيين في صناعة السجاد انخفض من 100 ألف عام 1990 إلى 15 ألف عام 2014 حسب إحصاءات وزارة

السياحة، أغلبهم نساء يعملن بشكل متقطع، كهواية وليس حرفة ورغم الأهمية الاقتصادية لصناعة الزربية وقدرتها على تحقيق التنمية الوطنية والمحلية، إلا أنها تواجه عراقيل كثيرة تحول دون تطورها، وتحقيق الأداء الأمثل لمهامها الاقتصادية. ويمكن أن نوجزها في: (العرب، السنة 39- ع 10530، 2008، صفحة 20).

1.5 - ظروف العمل غير الملائمة:

تعاني صناعة الزربية في الجزائر من ظروف عمل غير مناسبة، إذ تُمارس في الغالب داخل المنازل أو في ورشات مهنية قديمة تفتقر إلى التهوية الملائمة، وتتعلم فيها أدنى شروط الأمن والنظافة، هذه الوضعية تؤثر سلباً على تنظيم النشاط وتطويره، كما يُضطر الحرفيون لاستخدام معدات وأدوات غير ملائمة أو متهالكة، مما ينعكس سلباً على جودة المنتج ويؤدي إلى صعوبة احترام مواعيد التسليم، يُضاف إلى ذلك صغر حجم الورشات وقلة اليد العاملة، ما يُنتج حجماً ضئيلاً من الإنتاج، يأخذ طابعاً معيشياً أكثر من كونه إنتاجاً اقتصادياً منظماً. (وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والصناعة التقليدية، 2003، صفحة 21).

2.5 - غياب الحس المقاوлатي لدى الحرفيين:

يركّز التكوين الحرفي في الجزائر غالباً على الجانب التطبيقي لكل نشاط، دون إيلاء أهمية كافية للجوانب المتعلقة بالتسيير والتسويق، هذا النقص في التكوين المقاوлатي يحول دون تطوير المؤسسات الحرفية وتحسين مردوديتها الاقتصادية، ويضعف قدرتها على التنافس محلياً ودولياً، في الواقع، لا يكفي الاعتماد على جودة المنتج وحدها لضمان النجاح، بل يستوجب الأمر رؤية شاملة تشمل الفهم الجيد للسوق وآليات الترويج والتسيير.

3.5 - ضعف تنافسية منتوجات الصناعة التقليدية الجزائرية:

يُعزى هذا الضعف إلى عدة عوامل مترابطة، من أبرزها:

أ- الأسعار المرتفعة:

يعكس الحرفي في تسعيرته التكاليف المرتفعة للمواد الأولية، خاصة المستوردة منها، والتي تتفاوت في جودتها، ويُضاف إلى ذلك غياب تنظيم محكم لشبكات التوزيع، فضلاً عن الأعباء

الأخرى كالإيجار والضرائب، ما يؤدي إلى ارتفاع الأسعار مقارنة بنظيراتها الأجنبية، وانخفاض القدرة التنافسية للمنتوج الجزائري. لذا، غالباً ما يشارك الحرفيون في المعارض الدولية بغرض بيع عينات لا أكثر، دون القدرة على تأمين طلبيات منتظمة على مدار السنة. (شكري، إشكالية التسويق في قطاع الصناعة التقليدية والحرف، ديسمبر 2007، صفحة 6).

ب- ضعف الجودة والأصالة:

في محاولتهم لجارة أذواق المستهلكين المتغيرة، يلجأ بعض الحرفيين إلى تعديل المنتج التقليدي بما يفقده طابعه الأصيل، كما يؤدي استخدام مواد أولية رديئة، وعدم توفر تكوين متخصص وعالي المستوى في بعض الحرف، إلى إنتاج سلع تفتقر للجودة والإتقان. (شكري، إشكالية تصدير المنتج التقليدي نظرة كلية- الغرفة الوطنية للصناعة التقليدية والحرف، ع3، 2004، صفحة 16).

ج- العزلة عن باقي القطاعات:

تفتقر الصناعة التقليدية إلى التكامل مع قطاعات حيوية مثل السياحة، البناء، الزراعة والصناعة، مما يحرمها من فوائد الترابط القطاعي الذي يعزز التنمية الشاملة والتكامل الاقتصادي.

د- مشاكل التسويق: تصطدم المنتجات التقليدية بعوائق تسويقية أبرزها صعوبة اقتطاع حصة من السوق الوطنية بسبب:

✓ حرمان الحرفيين من محلات تجارية على مستوى الجماعات المحلية التي تفضل تأجيرها للتجار بهدف تحقيق مداخيل آنية، دون النظر إلى القيمة التنموية طويلة المدى التي يمكن أن تحققها هذه المحلات.

✓ عدم إشراك الحرفيين في الصفقات العمومية، خاصة في قطاع البناء، حيث يمكن توظيف المنتج الحرفي لإبراز الطابع المعماري الأصيل للمناطق، ما يسهم في التميز السياحي وتخفيض تكاليف البناء من خلال استغلال المواد الأولية المحلية وإحياء الحرف المرتبطة بها.

6. بعض الحلول للنهوض بصناعة الزربية بمنطقة تيارت

1.6 - تعزيز وتطوير بعثات الوساطة: حيث تمثل غرف الصناعات التقليدية والحرف وسيط متميز للسلطات لضمان تقديم برامج تطوير الصناعات التقليدية والحرف وضمان تنفيذه هذا من جهة، ومن جهة أخرى تعتبر محفل لتمثيل مصالح الحرفيين، وهي مسؤولة عن تقديم المشورة للسلطات العامة التي تعكس مصالح الحرفيين.

2.6 - تعزيز النظم الإنتاجية المحلية: وذلك بغية تهيئة مناخ من الثقة والتعاون بين الحرفيين، وكذا إعداد خطط الأعمال والبحث عن التمويل وتنفيذ وتقييم المشاريع.

3.6 - إنشاء مراكز التميز في الصناعات التقليدية والحرف: وذلك من خلال بناء البنى التحتية والمرافق اللازمة لدعم والإشراف على المهنيين في هذا القطاع، والتي يأتي على رأسها مراكز التميز التي تهدف أساسا إلى تطوير الحرف البدوية المحلية وتعزيز الثروة الثقافية والسياحية لمنطقة معينة، وبالتالي تعزيز التنمية الاقتصادية المحلية.

4.6 - تطوير نظم المعلومات: وذلك انطلاقا من أن نظم المعلومات توفر بيانات تساعد على تصميم وتنفيذ وتقييم السياسات والبرامج الإنمائية الوطنية.

5.6 - تحديد الأنشطة الحرفية وعلامات مهنية:

وذلك لوضع لائحة فنية مرجعية للأنشطة الحرفية الـ 339 تهدف إلى توحيد العلامات المهنية، وهذا كله لإزالة الحرفيين الفوضويين والتعرف السريع من قبل دوائر الدولة على الحرفيين المسجلين في سجل الصناعات التقليدية والحرف.

خاتمة:

تمكنت صناعة الزرابي والنسيج التقليدي من الحفاظ على غناها الرمزي والأسلوبي، حيث لم تنل تقلبات الزمن من طابعها الأصيل وجمالها الفني، بل ظلت محتفظة بأشكالها وتقنياتها الأصلية رغم إدخال بعض اللمسات العصرية على بعض الأنماط، ويعكس هذا التنوع في الزرابي التأثيرات الثقافية المتعددة التي عرفها هذا الفن، إذ تأثر بالتراث الأمازيغي والعربي الإسلامي، كما حمل

بسمات إفريقية وشرقية، ما يدل على تداخل حضاري غني، كما ساهم الموقع الجغرافي القريب من البحر الأبيض المتوسط في التقريب بين الأساليب الفنية المختلفة، مما أفرز لغة تعبيرية مشتركة. وفي ضوء ذلك، يمكن استخلاص مجموعة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- ✓ أن صناعة الزربية تعاني نوع من الإهمال وهي في طريق الاندثار، وعليه يجب العمل على الحفاظ على صناعتهما كونها تمثل ثقافة وإرث وتاريخ الجزائر عامة وتيارت خاصة.
- ✓ ضرورة العمل على الحد من المعوقات التي تواجه الزربية وذلك من خلال توفير بيئة مناسبة للحرفيين من أجل إبراز إمكاناتهم ومؤهلاتهم.
- ✓ تشجيع ربات البيوت على الولوج إلى مجال صناعة الزربية من خلال تقديم امتيازات وتسهيلات.
- ✓ القيام بدورات تكوينية للحرفيين للرفع من مؤهلاتهم ومسايرة التطورات الحاصلة.

الملاحق:



الملحق رقم 01: يمثل الزربية الحمراء المنتشرة بمنطقة تيارت وهي مشابهة لزربية جبل العمور



الملحق رقم 02: يمثل الزربية البيضاء المنتشرة بمنطقة تيارت وهي تسمى الزربية الشالالية

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن منظور. (1987). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
- بن زعرور شكري. (ديسمبر 2007). إشكالية التسويق في قطاع الصناعة التقليدية والحرف. الجزائر: تقرير الغرفة الوطنية للصناعة التقليدية.
- بن زعرور شكري. (ع3، 2004). إشكالية تصدير المنتج التقليدي نظرة كلية- الغرفة الوطنية للصناعة التقليدية والحرف. مجلة الحرفي، الجزائر، 16.
- جريدة العرب. (السنة 39- ع 10530، 2008). الزربية الجزائرية تختصر في غياب السياح. الجزائر: جريدة العرب.
- حميدة ماجور. (مج: 2- ع 08، سبتمبر 2019). زربية قرقور بمدينة سطيف وآفاقها المستقبلية. جيجل: المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات.
- سامية زنادي شيخ. (2007). في نسيم الزمن- سلسلة تراث الجزائر تر: عبلة منور. الجزائر: منشورات أبيك.
- عائشة حنفي، وساجية عاشوري. (2005). الزرابي الجزائرية في القرن 19- مجموعة المتحف الوطني للآثار القديمة. الجزائر.

- غرفة الصناعة التقليدية والحرف تيارت. (2010). *صناعة الزراي التقليدية "أصالة- ثروة- تنمية محلية"*. تيارت: وزارة السياحة والصناعة التقليدية.
- غرفة الصناعة التقليدية والحرف لولاية الأغواط. (من 29 سبتمبر إلى 08 أكتوبر 2015). - *صناعة الزراي التقليدية- "دورة تكوينية لفائدة حرفيي صناعة الزراي التقليدية- - - الأغواط*.
- مُجدّ الجوهري. (2007). *التراث الشعبي في عالم متغير "دراسات في إعادة إنتاج التراث"*. القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
- مُجدّ أنور عبد الله منى. (2008). *الرمز في الفن الشعبي التشكيلي بمصر واستخدام رموز الحب والكراهية في تصميم المنتجات*. جامعة فلادلفيا: المؤتمر الدولي الثالث لكلية الآداب والفنون.
- مُجدّ عبد العزيز مرزوق. (1977). *الفنون الإسلامية في المغرب والأندلس*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- نسيم. خ. (16 مارس 2020). *مدينة قصر الشلالة تحنّي بالزربية كموروث تقليدي أصيل*، نظر: تمّ زيارته يوم . تيارت: موقع أخبار تيارت: الموقع الالكتروني <https://tiaretnews.wordpress.com/2014/11/10>.
- وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والصناعة التقليدية. (2003). *مخطط عمل من أجل تنمية مستدامة للصناعة التقليدية آفاق 2010*. الجزائر: شركة اتصالات وإشارات.
- وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة. (مرسوم رقم 01-96 المؤرخ في 10 يناير 1996 المحدد للقواعد التي تحكم الصناعة التقليدية والحرف). *مدونة النصوص القانونية والتنظيمية الخاصة بقطاع الصناعة التقليدية والحرف لسنة 2005*. الجزائر.
- Devoulx. (1852). *Tachrifat Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne d'Alger*. Alger: Imprimerie du Gouvernement